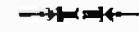


الفنان (*)

للأنسة زينب الحكيم



أو من مساقط المياه القريبة ليصعدا به على الجبل . ويكنى ما يشير إليه عملهما من وجود الرحمة والتضحية والتجرد ، كما يكنى هذا لفهم دلالة الرسم على ما قصد به .

هكذا الحياة شك وبقيت ، ووضوح وغموض ، وبأس وأمل ، وصدق وكذب ، وخداع ووفاء ، وشدة ورخاء ، وحب وكره ، وغير ذلك مما لا حصر له من الأضداد .

سكن الإنسان بضل بين هذه جميعاً ، يحدده للبصر حيناً وتحدده الحواس أحياناً . تثيره الموسيقى وتشمعه الفلسفة ، فيصير نوراً في الأنوار أو روحاً في الأرواح . حياته نهب بين الشدائد والتأملات . الشدائد تعقل نفسه من جهة وتنمى خياله التأملات من جهة أخرى ، فيضيف إلى شخصيته شخصيات متعددة كلما صرت به حادثة أو اختلجت قسماً وتأثرت أعصابه . ولكن هل إدراكه محدود؟ هذا ما يحيرني . أما نشاطه فحدود بتحلل هيكله ، ولكن نشاطه الإدراكي هل يزول أبصاً وينتهي إلى الأبد كما ينتهي الجسم ؟

صورة

أتحيل الآن تحفة من روائع الخيال والفن الصيني ، أهدتها إلى بثة الإخاء الإسلامية الصينية (نزلة القاهرة في شهرى مارس وأبريل ١٩٣٩)

هذه الصورة بها أعشاب مزهرة ، وبها طيور خواصة . وقف ثلاثة منها معاً على المشب المائى ، ولفت نظرى سماتها المختلفة فواحدة كأنما تجدد في إخفاء وجهها ، وتحاول إغماض عينيها فلا تريد أن يراها أحد أو ترى أحداً ؛ وواحدة تكايد بأساً قاتلاً وهماً مقبلاً ؛ والثالثة تطأطئ رأسها وقد وقفت على ساق واحدة في إعياء وخفض جناح

والناظر إلى ثلاثتها لا بد أن يشفق عليها ، ويمجب من أمرها . وفي أعلى الصورة طائران يحلقان معاً في ضوء البدر الخلاب وقد قاربا أزهار المشب وهما يهبطان بالتدرج ، ويطمئن الناظر إليهما لما تضفيان عليه من سمات الانشراح والاطمئنان والسعادة في الصورة شيء آخر أحاول تذكره فلا تسعنى الذاكرة ،

الفنان إنسان منتب ، يفره الأمل فيسبح في خيالات خلافة ، أو يوثقه القدر فيراع ، وهو على أية حال يكونها منتقل متفنن ...

تعاف نفسه الاستفرار ، ويؤله الجود ، هو إنسان دقيق الشهور صر هف الحس ، يدرك من وراء اللطواهر ما لا يدركه غيره ؛ فإذا أصاب الهدف فبشره بفلاح عظيم ، إذ تسمو مداركه وتمرن نشاطه ويخلد فنه ؛ وهو كلما طال وقت اختباراته دق إدراكه ونفذ إلى ما وراء خيالاته ومشاهداته ، وكلما صمت نطقت ريشته ، ودوى نغم وتره ...

امشوا

اختبر صرة فنان صيني ماهر تلاميذه — فكلفهم رسم جبل في بلادهم يسمى « جبل الأسرار » ، ومن فوقه وحوله الهياكل للمباداة .

رسم الطلاب الجبل بإتقان ، وأظهروا حوله الهياكل ، فجاءت رسوماتهم نماذج باهرة ، وراحوا إلى أستاذهم نفورين ؛ ولكن كان نصيبهم جميعاً الرسوب في الامتحان ، إذ قال لهم أستاذهم : إن رسوماتكم التي أرى ، إن دلت على شيء ، فلا تدل على أكثر من أشياء ظاهريّة مادية ساذجة ، مما يشير إلى أن خيالكم قاحل وفنكم بدائي ، ولم تحاولوا تفهم نفوسكم حتى تستطيعوا نحت شيء منها يخلد به تصوركم لجبل الأسرار وما يحيط به .

لقد كان يكنى يا تلاميذى أن ترسموا هيكل الجبل من بعيد ، وقد اختفت أجزاء منه : إما في ضباب ، أو زوبعة ، أو وراء السحب ؛ وقد كان يكنى الرمز إلى وجود هياكل حوله وعلى فته بأن ترسموا راهباً أو اثنين يجلبان ماء من مجرى الماء بالوادي ،

(*) الفنان كما أنه لا كما ينس عليه قاموس اللغة .

نفسه فقد قسا في آهائه ، وإن يكن قد آتهم الجمهور فقد عدل فيه ، فلا يفهم الصور فيها تشير إليه من معاني إلا أهل الفن والخواص من الناس

وإنسان الفن لا يريد إيضاحاً كلامياً ، ولهذا كان بيت الشعر بالنسبة للذاكرة شيئاً قليل الأهمية

وكيف يمكن أن أذكر هذا وأنسى براعة الفنان المدهشة في الإلماع إلى كون معاني الخريف وراء أزهاره الشاحبة في ضوء القمر الكامل الاستدارة ! لقد أخفت أزهار المشب الملوحة بالحرارة والصفرة جزءاً يسيراً غائراً من طرف القمر ، فكان قلباً دائماً - نم بقطر دماً

فيا أيها الفنانون المدعون ، هل تسميرون وفق طبائكم أو تخالفونها - فلا تبصرون ولا تفقهون ، ولا تؤدون رسالاتكم المتوقفة أداؤها على البصيرة !!

زينب الحكيم

صدر كتاب

الشيخ علي الطنطاوي في بلاد العرب

صور طبيعية - ومواقف وطنية - وشاهد اجتماعية -
دمشقية - ولبنانية - وفلسطينية - وعراقية - وحجازية

بأسلوب يند الموثق ، وبنفع الطالب ، ومرضى المؤرخ

في أكثر من ٣٠٠ صفحة - تنشره المكتبة الهاشمية بدمشق



يصدر بعده ثلاثة كتب للمؤلف :

(مرور في المار) - (مرايا التاريخ المعاصر) - (في سبيل الإصلاح)

وقد صممت ألا أرى الإطار حتى أذكر ذلك الشيء ، الذي أذكر موضعه في الجهة اليسرى من أعلى الصورة ، ولكني لا أذكر إذا كان جبلاً أو إنساناً أو حيواناً أو غير ذلك ... غريب هذا ! إن جميع ألوان الصورة حاضرة في تخيلتي بجميع دقائقها من ظل وألوان وحجم وتناسق وكل شيء إلا ذلك الشيء الذي في أعلى الصورة من الجهة اليسرى ... ترى ما هو وما دلالاته ، ولماذا أهملته بإسرتي وذاكرتي ، ولا يمكن أن أنصوره فقد انعج أثره من تخيلتي تماماً ؟ !

إن زهر المشب السامق بألوانه المشوبة بالحرارة والصفرة ، والمتناثرة زهوره ينطوي فيها كل معاني فصل الخريف ، الذي بهيج في كل قلب ما يمكن ، ويشير في كل نفس مشجاة شجنها والطير الممثل في الصورة هو نوع من البط غير الأليف الطيار ، يتصف بشدة الوفاء ، فإذا مات إلف وترك أليفه ، فإنما قد ورثه الحزن والوحدة ، فيموت كدأ وحزناً على إلفه الراحل ، فيقاطع الطعام والشراب ، ولا يطير إلا منفرداً ، ولا يمكن أبداً أن يتخذ إلفاً غير إلفه في الفترة التي يعيشها بعده طالت أو قصرت

وهذا الطير من الطيور المهاجرة (القواطع) فيعرف فصول السنة ويميزها ، ولذلك ينتقل من الشمال إلى الجنوب في الشتاء ، ولما عرف عن هذا البط الطيار من شدة الوفاء ، يهدي للمروسين في بلاد الصين يوم عقد للفران لها دليلاً على الوفاء

أخيراً أذهب إلى الصورة لأرى الشيء المنسى ... إنه بيت من الشعر ، مكتوب في سطرين باللغة الصينية معناه : « وراء هذه الزهرة تكمن معاني الخريف »

هل كان يصح مني أن أنسى هذا البيت من الشعر وهو الذي يفسر معنى الصورة ؟ ! لقد مررت وأنا أكتب هذا المقال بمواضع فيها من تداعي الماني ما يذكرني بالشيء المنسى ولم أذكره ، وكان لا بد لي من الذهاب إلى الإطار لأراه

هيكلاً ! كأن الصور آتهم بيان صورته عما أراد منها ، أو آتهم الجمهور في فهم بيانه وما تشير إليه صورته ؛ إن يكن قد آتهم